دور الإسلام في غرس القيم الوطنية وأثره في توثيق الصلة بين الفرد و دولته

أ.د. كمال لدرع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة.

شمولية الدين الإسلامي:

الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة الدنيوية والأخروية قال تعالى:" **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**)[1]، بحيث لم يفصل بين الدين و الدنيا والعبادة والحياة فالكل عنده متكامل ويخدم بعضه بعضا، والكل يندرج ضمن المفهوم العام للعبادة. أي أن الحياة بكل جوانبها المختلفة لها صلة مباشرة بعبادة المسلم لربه. فالزواج عبادة، والزراعة عبادة، والعمل عبادة، والرياضة النافعة عبادة، والتعاقد عبادة، والبحث العلمي الجاد عبادة، والأخلاق الفاضلة عبادة، وخدمة المجتمع عبادة.

---

[1] - المائدة:03.

و الدين الإسلامي يتصف بالواقعية حيث يراعي ظروف الإنسان ومدى قدرته على أداء التكاليف في ظروف مريحة دون إرهاق بدني أو نفسي فالله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ومن هنا فهو دين اليسر لا العسر و رفع الحرج و المشقة عن الناس و جلب التيسير لهم سواء في العقيدة بحرية التدين قال تعالى : (**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[1]. أو في العبادات من حيث كافة أنواع التيسير فيها وهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة وفي مجال المعاملات فهناك إقرار لمبدأ اليسر و الضرورات تبيح المحظورات والمشقة تجلب التيسي.

كما أنه دين المناسبة للفطرة أي الطبيعة الأصلية للإنسان بحيث لم يقع قمع مطالب الإنسان الحيوية كالتمتع بطيبات الحياة المشروعة كالمأكل و الملبس والسكن و التمتع بالجنس و التمتع بالحرية الكاملة فالإسلام سمح بها جميعا بعد أن هذبها و نظمها و ترك الإنسان يعيش حياة طبيعية.

ثم إن هذا الدين و بالنظر لهذه الخاصيات فإنه آخر الديانات فمن الطبيعي أن يكون دين الحرية وإعمال العقل و القرآن الكريم حافل بهذا المجال ما في ذلك من شك لذا فهو دين الإنسانية ومستقبل البشرية لن يكون في أفضل حال بدونه وقد بشر الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض بقوله تعالى : (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)[2].

---

[1] - البقرة:256.

[2] - النور:55.

والإسلام بهذه المواصفات يؤكد لأتباعه ولأعدائه أنه دين الرحمة والحرية و الإبداع الإنساني، وأنه جاء من أجل مصلحة الإنسان، ومن أجل تحقيق المهمة التي خلق الله تعالى الإنسان، وهي عبادته تعالى وحده لا شريك له، وعمارة عمارة الأرض بالخير والصلاح.

تعمير الأرض بالخير والصلاح مطلب شرعي:

لقد جعل الإسلام الإنسانَ محور أحكامه الشرعية، فهو غايتها، وهو وسيلة تحقيقها وتجسيدها في الواقع، فارتقى به ليكون كائنا مستخلفا في الأرض، وأوكل إليه مهمة تعمير الأرض بالخير والصلاح، قال تعالى:" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**"[1]، و قد زود الله تعالى هذا الكائن البشري بمؤهلات عديدة تمكنه من تحقيق الغاية من وجوده، من أهمها العقل والحرية والإرادة.

ولن يستطيع الإنسان أداء هذه المهمة على أكمل وجه في هذه الحياة إلا إذا كان مؤمنا، طائعا لله تعالى، قال تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**) [2]. وخيرية الأمة ليس في لونها أو لغتها أو عرقها أو ثرواتها وإنما في القيم والمثل العليا التي تتحلى بها وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. ولا يتحقق الصلاح في الأرض أو في المجتمع أو في الدولة إلا بصلاح الفرد، قال تعالى (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [3]،

---

[1] - البقرة:30.

[2] - آل عمران:110.

[3] - الرعد:11.

ويقول أيضا: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**) [1]، فصلاح الدولة بصلاح مواطنيها، وصلاح المجتمع بصلاح أفراده.

وعليه فالأمة التي تقطن رقعة من الأرض تتحمل مسؤولية تعميرها بما يعود بالنفع على الفرد والجماعة، بمنع الفساد والظلم والاستبداد. فلا تبنى الدول ولا تنهض المجتمعات، ولا تستقر الأوطان إلا إذا صلح الإنسان، وتجمل مسؤوليته تجاه مجتمعه، هنالك يحقق العبودية الكاملة لله تعالى.

مكانة الوطن في الإسلام:

الوطن جزء من الأرض التي جعلت موطن الاستخلاف، لذلك فالإسلام ينظر إلى ارتباط الإنسان بوطنه وبلده، وحبه له أنها مسألة فطرية متأصلة في نفسه، طبع الله تعالى عليها النفوس، فالدولة أو الوطن مسقط الرأس، ومستقر العيش، ومكان العبادة، ومحل المال والعرض والشرف، لذلك كان الوطن نعمة من الله على الفرد والمجتمع. والإنسان بما جبل عليه يرفض عادة الخروج من وطنه إلا إذا أكره على ذلك، وإخراجه منه يعد عقوبة، كما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عندما أخرجته من مكة، قال تعالى: (**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [2].

---

[1] - الأنفال:53.

[2] - التوبة:40.

ولما كان الخروج من الوطن أمرا قاسياً على النفس، صعباً عليها، فقد رفع الله تعالى من قدر ومكانة المهاجرين الذين ضحوا بأوطانهم وأراضيهم وممتلكاتهم وديارهم في سبيل الله، فصار للمهاجرين على الأنصار أفضلية ترك الوطن، مما يدل على أن ترك الوطن ليس بالأمر السهل على النفس، وقد مدحهم الله سبحانه على ذلك فقال تعالى: (**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)[1].

ومما يدل على مكانة الوطن في الإسلام أيضا أن القرآن الكريم قرن حب الأرض بحب النفس، قال تعالى: (**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**)[2]، كما قرن حب الأرض بالدين، قال تعالى: (**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) [3]، كل هذا يدل على تأثير الأرض، وحب الإنسان لبلده أمر طبيعي لا عيب فيه، وليس بالشيء المذموم. فالأصل في الإنسان أن يحب وطنه ويتشبث بالعيش فيه، ولا يفارقه إلا إذا أكره على الخروج منه، أو مغادرته لأجل العمل أو طلب العلم أو نحو ذلك، فلا يعني هذا انقطاع الحنين والحب للوطن أو البلد، والتعلق بالعودة إليه، كما وقع للصحابة رضي الله عنهم، حيث كانوا في المدينة يحنون إلى مكة.[4] ولما كان حب الوطن مركوزاً في النفوس متأصلاً فيها، فإن الإسلام بشريعته

---

[1] - الحشر:08.

[2] - النساء:66.

[3] - الممتحنة:08.

[4] - محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، ص:109و110.

الغراء جاء مقرا لذلك، مبيناً أن ذلك لا يتعارض مع أحكامه وتعاليمه، وقد سجل القرآن الكريم دعاء نبي الله إبراهيم لبلده بالأمن والرزق، وهذا يدل على حبه لوطنه، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ [2].

الإسلام يحث الإنسان على التعلق بوطنه وخدمته:

ينظر البعض إلى الوطنية على أنها تقديس للوطن أو الدولة على حساب الدين وتعاليمه وأحكامه، فتحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية، وكأنهما ضدان لا يجتمعان، ومنهم من ينطلق في مفهومه للوطنية من كونها فكراً ومنهجاً يصادم الشريعة الإسلامية ويعارضها، فالولاء للوطن عند هؤلاء ينافي الولاء للدين، وفي مقابل هذا نجد من الناس من يتجاهل حقوق وطنه عليه، ويخل بالتزاماته تجاهه، بل بلغ الحال ببعضهم إلى النفور من مجرد سماع هذه الكلمة، فضلاً عن معرفة حقوقها وواجباتها.

أما الإسلام فهو يسمو على هذا كله، فيحث الفرد على حب وطنه وبلده وخدمته وقيامه بحقوقه المشروعة ووفائه بها، ويدعو إلى تعزيز الرابطة بين أبناء الوطن الواحد ويرشدهم إلى ما يقوي العلاقات الأخوية بينهم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [3]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا**

---

[1] - البقرة:126.

[2] - إبراهيم:35.

[3] - الحجرات:10.

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا[1]".

إن الإسلام يرفض الفرقة والاختلاف المذموم، والتناحر والتباغض، وكلها معاول توهن الوطن، وتضعف الدولة، وتزعزع هيبتها، وتسيء سمعتها أمام الأعداء، قال تعالى:(**وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [2]، لذلك فالإسلام يدعو إلى ما يحافظ به على الوطن، ويقوي به الدولة، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى حَدَّثَنَا إِسْحَقُ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِهِ**)[3]".

وحدود الوطن - التي تلزم التضحية في سبيل حريته وخيره – تبدأ من حدود قطعة الأرض التي يولد ويعيش عليها المرء، وهو الوطن الخاص، ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، ومن ثم يوفق الإسلام بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة.

لكن لا يمكن للإنسان أن يحقق الخير لوطنه الكبير الذي تربطه به أواصر العقيدة الإسلامية، أو بالأرض كلها التي تربطه بأهلها وشائج الإنسانية، إلا إذا خدم بلده أولا، فهو مطالب أن يقدم الخير للأقرب فالأقرب، والذي فإن بعض

---

[1] - رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم:5604 – ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم:4646.

[2] - الأنفال:17.

[3] - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم:4685.

الفقهاء نهوا أن ينقل زكاة ماله إلى بلد آخر ما دام أهل بلده بحاجة إليها، وهذا الذي نبه إليه الشيخ العلامة ابن باديس رحمه الله:(**لمن أعيش أنا؟ أعيش للإسلام والجزائر. قد يقول قائل : إنّ هذا ضيق في النظر، وتعصب للنفس، وتصور في العمل، وتقصير في النفع. فليس الإسلام وحده ديناً للبشرية، ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان ولأوطان الإنسانية كلها حق على كل واحد من أبناء الإنسانية، ولكل دين من أديانها حقه من الاحترام، فأقول: نعم إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها، والحديث عليها في جميع أوطانها، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها، هو ما نقصده ونرمي إليه، ونعمل على تربيتنا وتربية من إلينا عليه، ولكن هذه الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة فوجب التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة وإيصال هذا النفع. ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها .... وهو الدين الذي فطرنا عليه الله بفضله – علمنا أن دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به، وأن خدمتها لا تكون إلا على أصوله، وأن إيصال النفع إليها لا يكون إلا من طريقه... أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط كل مقوماتي الشخصية ممتدة منه مباشرة. فأرى من الواجب من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض عليّ تلك الروابط أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة. وكما الروابط لأجله – كجزء منه – فروضا خاصة، وأنا أشعر بأنني كلما أردت أن أعمل عملاً وجدتني في حاجة إليه : إلى ماله وإلى حاله وإلى آلامه، كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه. هكذا هذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأعمال. وأحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه لا بد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة**

وهذا الاتصال. نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لا بد أن نكون قد خدمناها، وأوصلنا إليها النفع والخير من طريق خدمتنا لوطننا... ولن نستطيع أن نؤدي خدمة لشيء من هذه كلها إلا إذا خدمنا الجزائر. وما مثلنا في وطننا الخاص – وكل ذي وطن خاص – إلا كمثل جماعة ذوي بيوت من قرية واحدة. فبخدمة كل واحد لبيته تتكون من مجموع البيوت قرية سعيدة راقية. ومن ضيع بيته فهو لما سواها أضيع. وبقدر قيام كل واحد بأمر بيته تترقى القرية وتسعد، وبقدر إهمال كل واحد لبيته تشقى القرية وتنحط. فنحن إذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للأضرار بسواها – معاذ الله – ولكن لنفعها وننفع ما اتصل بها من أوطان الأقرب فالأقرب) [1].

وقول الشيخ ابن باديس رحمه الله يفيد أن المسلم هو أعمق الناس وطنية، وأعظمهم نفعاً لبلده، وأشد الناس حرصاً على خير دولته، وتفانياً في خدمة مجتمعه، وهو ينتمي لهذه البلاد العزيزة المباركة، التي سقيت بدماء الشهداء، لأن ذلك مأمور به من قبل دينه، وهو من القربات التي ينال عليها الثواب، ويتعبد بها إلى الله تعالى.

إن للوطن على كل فرد فيه حقوقا كثيرة يجب عليه الالتزام والوفاء بها، والعمل من أجل رفعته وعلو قدره، والمحافظة على مرافقه وموارده، والدفاع عنه والنصح لأهله بما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. فحب الوطن من الإيمان، والولاء للدولة ليس شركا، وليس شيئا مذموما، ولا

---

[1] - في مقال بعنوان:(لمن أعيش) نشر في جريدة الشهاب، ج:10، م:12 غرة شوال 1355هـ/ جانفي 1937م – آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سنة 1412هـ/1991م، ج:4، ص:109 وما بعدها.

يصادم تعاليم الدين، بل هو أمر يقره الدين. وفي الوقت ذاته فإن حب الوطن ليس محصورا فقط في تشجيع حزب معين، أو الوقوف للنشيد الوطني، أو في رفع علم أو في وضعه على سيارة، أو على شرفة منزل، كما لا يعتبر خائنا لوطنه أو متهما في ولائه لدولته وطنيته من يقول كلمة الحق، أو يبدي رأيا مخالفا لما يراه بعض المسؤولين من أولياء الأمور.

إن مفهوم الوطنية سيصير سطحياً إن جعلناه محصوراً فقط في مظاهر يمكن لأي شخص أن يمارسها، بإخلاص أو نفاقا؛ إن الوطنية الحقة، والولاء للدولة والمحافظة على هيبتها لا يكون بالكلام بل بالعمل، فالولاء للوطن والمحافظة على هيبة الدولة هو أن يأتي الموظف إلى عمله في الوقت المحدد ويخرج في الوقت المحدد، الوطنية أن يعمل كل فرد بإخلاص ولا تستغل الوظيفة لأغراض خاصة، الوطنية أن يكون على قدر المسؤولية إن أعطي وظيفة كبيرة، وأن ينظر لهذه المسؤولية عن أنها تكليف لا تشريف، الوطنية أن تسند المسؤولية إلى القوي الأمي الكفء، قال تعالى:(**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**)[1]، الوطنية أن لا يخون الراعي رعيته، فعَنْ الْحَسَنِ قَالَ أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:(**مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**)[2].

---

[1] - القصص:26

[2] - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، رقم:6618.

الوطنية أن تلتزم بالقانون وتحافظ عليه، الوطنية تعني أن تلقي المهملات والفضلات في المكان المناسب ولا تلقيها من النافذة أو الشرفة، أو من نافذة السيارة، الوطنية تعني أن تقدم مصلحة الوطن على مصالحتك الشخصية.

فالكل مسؤول تجاه وطنه، والكل يمكن له أن يسهم في خدمة دولته، فعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[1].

إذا فالمواطنة والولاء للدولة تقتضي الشعور بالواجب والمسؤولية تجاه الوطن، فالتعبير عن ذلك لا يكون بالكلام أو ببعض الشعارات، وإنما بالعمل الصالح وبذل الجهد النافع المتواصل، فالأستاذ وطني بتفانيه بالدرس وتربية النشء على حب العلم والأخلاق الفاضلة، والطبيب وطني باجتهاده في معالجة المرضى والتخفيف من آلامهم والقضاء على الأمراض و الأوبئة التي كيان المجتمع، والعامل وطني بجهده الدؤوب في البناء والتشييّد و التصنيع ...والمهندس بالخلق والابتكار و الإبداع لضمان الجودة وسرعة الانجاز ....والجندي وطني باستماتته في الدفاع عن الوطن و الذود عن كرامته، والتلميذ وطني باجتهاده في الدراسة والحرص على مواعيدها واحترام معلميه والمؤسسات التربوية، والشاب وطني بصلاحه واستقامته وبالمحافظة على كل ما يحويه الوطن فلا يكسر غصن شجرة ولا يلوّث الجدران بالكتابة عليها ولا يوسخ شوارع مدينته ولا يقطف أزهار الحدائق العمومية ولا يهشم المصابيح

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم:844.

العمومية، ولا يخرب أسلاك الكهرباء والهاتف، فالمحافظة على هذه الممتلكات العمومية هي نوع من البناء للدولة، قال تعالى:(**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)[1].

فحب الدولة واحترامها لا يكون فقط في الهتاف لها وإنما في خدمتها والمساهمة في بنائها، "فعندما تهتف الحناجر تملأ الدنيا صراخا، وعندما تشتغل العقول تملأ الدنيا إبداعا، وعندما تتحرك السواعد تملأ الدنيا عملا".

حب الرسول صلى الله عليه وسلم لوطنه:

إن حب الوطن من الأمور الفطرية التي جُبل الإنسان عليها، فليس غريباً أبداً أن يُحب الإنسان وطنه الذي نشأ على أرضه، وشبَّ على ثراه، وترعرع بين جنباته. وليس غريباً أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يُغادره إلى مكانٍ آخر، فذلك دليلٌ على قوة الارتباط وصدق الانتماء.

والإنسان يتأثّر بالبيئة التي ولد فيها، ونشأ على ترابها، وعاش من خيراتها، فإن لهذه البيئة عليه حقوقاً وواجباتٍ كثيرةً عليه أن يؤديها على الوجه المطلوب؛ وفاءً وحباً منه لوطنه.

وإذا كانت حكمة الله تعالى قد قضت أن يُستخلف الإنسان في هذه الأرض ليعمرها على هدى وبصيرة، وأن يستمتع بما فيها من الطيبات والزينة، لأنها مُسخرةٌ له بكل ما فيها من خيراتٍ[2]؛ فإن حُب الإنسان لوطنه، وحرصه على

---

[1] - التوبة:105.

[2] - قال تعالى:(**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**). الأعراف:32.

المحافظة عليه واغتنام خيراته، إنما هو تحقيقٌ لمعنى الاستخلاف الذي قال فيه سبحانه وتعالى: {**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**) [1].

وللمسلم في رسوله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في حبه لوطنه وتعلقه به. فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب مكة التي ولد فيها، وترعرع وكبر فيها، ويكره الخروج منها، فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَكَّةَ:(**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**)[2]. وعندما هاجر إلى المدينة، واستوطنها ألفها، بل كان يدعو الله أن يرزقه حبها، كما جاء في السنة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ قَالَتْ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَتْ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلٌ وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ:" **اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**)[3].

---

[1] - هود:61.

[2] - رواه الترمذي في سننه كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل مكة، رقم:3861، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ – وأخرجه الحاكم في المستدرك 1-486، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 3-250.

[3] - رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة، رقم:3633.

فكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى أن يرزقه حب المدينة؛ لاستشعاره بأنها أصحبت بلده ووطنه. ومثلما دعا بحبها فقد دعا لها، كما في الصحيحين عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ الْبَرَكَةِ**)[1]، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ قَالَ ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ** [2]".

ومن شدة حبه صلى الله عليه وسلم، كان يسر عندما يرى معالمها التي تدل على قرب وصوله إليها،

كما روى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ**[3] **نَاقَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا)، وفي رواية:(حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا)** [4]. قال ابن حجر في الفتح: (**فيه دلالة**

---

[1] – رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب المدينة تنفي خبثها، رقم:1752 – ورواه مسلم في كتاب الحج 4-97، ومسلم برقم 1369.

[2] – رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة، رقم:2437.

[3] – أوضع الراكب الدابة: حملها على السير السريع. انظر **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ص:1039.

[4] – أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب من أشرع ناقته إذا بلغ المدينة، رقم:1675.

على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن، والحنين إليه[1]).

وعن أَنس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ:(**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا**[2]"، وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِي الْقُرَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ**)، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: **هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**)[3]. فقد صار رسول الله يحب المدينة ويألفها، ويحب جبالها وسهولها وكل شيء فيها، كما كان يحب مكة، ويحب جبالها وأماكنها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ:(**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (**الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**)[4].

---

[1] - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج:3، ص:621، والحديث رقم: 1802.

[2] - رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، رقم:2675. ورواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم:2428.

[3] - رواه مسلم في كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم:2466. وفي رواية عن أَنس بْن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**إِنَّ أُحُدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**). رواه مسلم في كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم:2467.

[4] - رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، رقم:4834.

فلو أدرك كلُ إنسانٍ مسلمٍ هذه المعاني في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لرأينا حب الوطن يتجلى في أجمل صوره وأصدق معانيه، ولأصبح الوطن لفظاً تحبه القلوب، وتهواه الأفئدة، وتتحرك لذكره المشاعر.

حفظ هيبة الدولة ونظامها من مقاصد الشريعة:

إن الحفاظ على كيان الدولة وهيبة نظامها في نفوس الناس من أعظم المصالح الشرعية التي يجب على الأفراد أن يحافظوا عليها، بل هي مصلحة تتقدم كل المصالح الفردية والخاصة، وهو معنى أدركه ابن باديس، فكان يردد دائما "**الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء**"[1]. فهيبة الدولة تعود بالمصلحة على الجميع، وهيبتها تكون بهيبة مؤسساتها العامة والخاصة: فهيبة القضاء تكون برد الحق للمظلوم والأخذ على يد الظالم، وهيبة المجتمع بمنع انتشار الجرائم فيه، وهيبة الطرقات بالحفاظ على حرماتها، فيعم الأمن والأمان كل مكان، حتى المواطن تكون له هيبة فلا يجرؤ أحد أن يعتدي على ممتلكاته، لذا فلا يجوز لأي كان أن يعتدي على هذا الكيان، أي الدولة، الذي تعلقت به مصالح البلاد ومنافع العباد، يقول الغزالي رحمه الله في بيان أهمية قيام سلطان الدولة:(**وهو أن الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك**

---

[1] - في مقال بعنوان:(**مبادئنا وغايتنا وشعارنا**) نشر في جريدة المنتقد، العدد:1، 11 ذو الحجة 1343هـ/ 02 جويلية 1925م – آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سنة 1412هـ/1991م، ج:5، ص:176.

بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج وعم السيف وشمل القحط وهلكت المواشي وبطلت الصناعات) [1].

وإن من أكبر المفاسد التي حدث في التاريخ الإسلامي، وتحدث من حين إلى آخر، بدعة الخروج على الحكام، وتكفيرهم، وإعلان الحرب عليهم وعلى المجتمع، وأيضا تكفير الناس، والحكم عليهم بالبدعة والضلال، واحتكار الصواب، ومنع الرأي المخالف، وما يجر ذلك من مفاسد عظيمة، لذلك شرع الإسلام محاربة البغاة والمفسدين في الأرض، ومعاقبتهم حفاظا على هيبة الدولة واستقرارها، كما تحارب الدولة وتعاقب كل من ينشر الرعب ويقطع الطريق، فشرع الإسلام حد الحرابة لمنع هذه التصرفات الفاسدة، قال تعالى:(**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)[2].

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطورة هذا الاتجاه، في موقف أحد هؤلاء واسمه ذو الخويصرة التميمي، فقد جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة . وهو رجل من بني تميم . فقال: يا رسول الله! أعدل، فقال:(**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**)، فقال: عمر يا رسول الله! ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال:(**دعه إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ**

---

[1] - أبو حامد الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1403هـ/1983م، ص:148.

[2] - المائدة:33.

مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)[1].

فكان هذا يمثل نموذجا من الناس مع حكامهم، في الخروج عليهم ومناوئتهم، فهؤلاء اعترضوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم آنذاك، وتجرؤوا عليه، وهو صنف يتكرر في كل زمان ومكان، وما يحدثه هؤلاء من زعزعة لاستقرار الدولة وأمنها وهيبتها.

إن الشريعة الإسلامية تعتبر بناء الدولة وخدمتها، واجبا شرعيا، والقيام بشؤونها من أعظم المصالح، التي تقدم على ما سواها من المصالح، كما أن استقرار الدولة، والتفاف الرعية حول الراعي مما ينشده الإسلام في كل مجتمع، وهو ما جاءت الإشارة إليه في السنة النبوية، فعن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا** قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا

---

[1] – وتمام الحديث فيما أخرجه البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ قَالُوا يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا قَالَ إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَمَنَعَهُ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ". صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عزوجل:" وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر"، رقم الحديث:3095. وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث"1762.

تَأْمُرُنَا قَالَ: **تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ**)[1]. فتماسك المجتمع حول أميره حق عام، وما يفقده البعض من حقوق، هي في حكم الحق الخاص، وبصيانة الحق العام تستقيم مصالح وحقوق المجتمع، وفي الصحيحين أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً مِنْهُ**)[2]، بل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر باحترام نظام الدولة، واحترام سلطتها، ولو كان الحاكم عبدا أسودا، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**)[3]، وفي راية أخرى عنه قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ:(**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**)[4]، وفي رواية:(**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا**[5] **وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**)[6].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر الناس بمهاجمة الحكام لأجل الحصول على الحقوق، فيؤدي ذلك إلى حقد العامة على حكامهم وحكوماتهم، فتقع الفتن، وتسيل الدماء، وتتسع الهوة بين الحاكم والمحكوم، فعلى المحكومين أن

---

[1] - فقد روى البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم:3335 - ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم:3430.

[2] - البخاري، الفتن، باب قول النبي سترون بعدي أمورا تنكرونها، 6530 - ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم:3438و3439.

[3] - فقد روى البخاري في كتاب الآذان، باب إمامة العبد والمولى، رقم:652 .

[4] - فقد روى البخاري في كتاب الآذان، باب إمامة المفتون والمبتدع، رقم:655 .

[5] - أي في غير معصية.

[6] - فقد روى البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم:6609 .

يقدموا النصيحة، وأن يصلحوا، لأن الدولة هي ملك للجميع، وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في ضرورة احترام الناس لحكامهم، فعن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنْ كَانَ لِلَّهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَأَطِعْهُ وَإِلَّا فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ**)[1].

مقومات هيبة الدولة في الإسلام:

هيبة الدولة تقوم على جملة من المقومات، أهمها:

1 ـ الدين :

إن الدين إذا كان متمكنا من النفوس، ومتحاكم إليه في ميادين الحياة فإنه يسهم في حفظ أركان الدولة، ويشيع الأمن، وينشر السلم والأمان في حياة الناس، فهو بتعاليمه وأحكامه يرشد إلى الخير والصلاح، ويمنع الشر والفساد. ودور الدولة في المقام الأول كمال قال الماوردي:"**حفظ الدين من تبديل فيه والحث على العمل به من غير إهمال له**"[2]، لذلك وجب على الدولة حفظ الدين، الذي به تحفظ الدولة، يقول الغزالي:(**الدين أس والسلطان حارس وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع**)[3].

ويتميز الدين الإسلامي في أنه يكسب الفرد قيما أخلاقية، ومعان فاضلة تجعل منه مواطنا صالحا نافعا مستقيما، يتفاعل مع أفراد مجتمعه من أجل

---

[1] - رواه أبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم:3706.

[2] - أبو الحسن الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، دار إقرأ، بيروت لبنان، ط1، سنة 1401هـ/1981م، ص:151.

[3] - أبو حامد الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص:148و149.

مصلحة بلده، استجابة لقوله تعالى:(**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)[1].

كما أن الدين الإسلامي يغرس في نفوس أتباعه الوازع الديني المتمثل في الخوف من الله تعالى، الذي يولد رقابة ذاتية تبعده عن كل الآثام والشرور التي تغضب الله تعالى، ثم إن امتلاء القلب بالإيمان بالله والثقة به، والرضا بقضائه وقدره تجعله إنسانا سويا يعيش أمنا في نفسه وطمأنينة وقناعة.

إن الدين يمثل أقوى الروابط الاجتماعية التي تضمن استمرار واستقرار المجتمع، فهو يقوم بعدة وظائف اجتماعية تؤدي إلى تمتين روابط المجتمع وتقوي شبكة علاقاته.

لذلك كان أول ما قام به الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة بناء المسجد[2]، وذلك لتظهر فيه شعائر الدين الإسلامي، ولتقام فيه الصلوات التي

---

[1] - المائدة، الآية:02.

[2] - جاء في صحيح البخاري:(ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالَا لَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ). أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة، كتاب المناقب، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، رقم:3616..

تربط المرء برب العالمين، ولتربية النفوس على الطاعة والعبادة، وبتخرج من المسجد الصالحون الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون، قال تعالى:﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[1].

فالمساجد بيوت الله -عز وجل- في الأرض، وهي أطهر ساحات الدنيا، وأنقى بقاع الأرض، فيها يكون التوجيه السليم لتعاليم الدين، ونشر مفاهيمه السمحة للناس، وفيها تتآلف القلوب المؤمنة، وتتغذى النفوس الطاهرة المستقيمة.

إن التطرف والتكفير والعنف والإجرام والتقتيل قد تمارس هذه الآفات بسبب الجهل بالدين، أو ترتكب باسم الدين فتزعزع أركان الدولة، فيوظف الدين توظيفا خاطئا، وتستخدم تأويلات فقهية وتفسيرات غير سليمة للنصوص الشرعية تستدل بها على مشروعية اتجاهاتها وأفعالها، لذلك وجب فهم الدين فهما سليما، وتعليمه للناس، وتوظيف نصوصه توظيفا سليما، حتى يصحح الدينُ المفاهيمَ، ويمنع الضلالات، فيبني الفكر السليم، وينشئ الالتزام الصحيح، فمن الخطأ اعتماد القوة كوسيلة وحيدة لعلاج الانحرافات، وكسب احترام الأفراد للدولة، فلابد من تسخير الخطاب الإسلامي المعتدل لعرض مبادئ الإسلام وسماحته وأحكامه ونصوصه عرضا سليما[2].

---

[1] - التوبة:18.

[2] - محمد بن حميد الثقفي، **دور مؤسسات المجتمع في مقاومة جرائم الإرهاب**، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 2/21 حتى 2/24 من عام 1425هـ.

2 ـ سيادة الشريعة أو القانون:

إن من مقومات نجاح وازدهار الدولة هي مدى تقيدها بحاكمية أحكام الشريعة على الجميع: حاكم ومحكوم، وهو ما يعبر عنه بسيادة القانون فوق الجميع، بحيث يطبق على الجميع دون تمييز بين حاكم ومحكوم، أو غني وفقير، أو سيد ومسود، أو شريف وبسيط، يقول ابن باديس رحمه الله:(**الناس كلهم أمام القانون سواء، لا فرق بين قويهم وضعيفهم، فيطبق على القوي دون رهبة لقوته، وعلى الصعيف دون رقة لضعفه**) [1]، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في السنة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ (وكانت امرأة شريفة في قومها) فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**)[2].

---

[1] – في مقال بعنوان:(**أصول الولاية في الإسلام من خطبة الصديق رضي الله عنه**) نشر في جريدة الشهاب، ج:11، م:13، غرة ذي القعدة 1356هـ/ جانفي 1938م – آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سنة 1412هـ/1991م، ص:176.

[2] – أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم:6290 – ورواه مسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحد، رقم:3196 - أخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، رقم:1350. قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ مَسْعُودِ ابْنِ الْعَجْمَاءِ وَابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ عَائِشَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَيُقَالُ مَسْعُودُ بْنُ الْأَعْجَمِ وَلَهُ هَذَا

وتكمن أهمية قوانين الدولة ودستورها، في صيانة واحترام المبادئ والثوابت التي ترتكز عليها الدولة، وإبراز هويتها، وتحديد الحقوق والواجبات للأفراد، وحماية حرياتهم وحقوقهم العامة، فالدولة تنمو وترتقي بالحفاظ على شرعية دستورها وقوانينها، وتتراجع وتهتز بانتهاك ذلك.

ويكون احترام الدولة لقوانينها ودستورها بمدى استمدادها الشرعية من الشعب، فإذا كانت الدولة مثلا ديمقراطية مثلا فإنها تستمد سلطتها من البرلمان الذي بدوره يستمد شرعيته وأهليته من الشعب، والدولة إذا كانت كذلك فهي جديرة بالاحترام والتقدير، من قبل أفرادها، ومن قبل غيرها من الدول[1].

الْحَدِيثُ. ونص الحديث في رواية مسلم:(عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَطَبَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يَدُهَا قَالَ يُونُسُ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدُ وَتَزَوَّجَتْ وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُقْطَعَ يَدُهَا فَأَتَى أَهْلُهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَكَلَّمُوهُ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ اللَّيْثِ وَيُونُسَ).

[1] - أبو المعاطي أبو الفتوح، **حتمية الحل الإسلامي: تأملات في النظام السياسي**، شركة الشهاب، الجزائر، ص:112.

أما إذا كان حكم الدولة استبدادي بحيث ينبني حكمها ونظامها على تكريس السلطة في يد فئة قليلة تتولى السلطة، وتستبعد سلطة الشعب وتفرض رقابة على البرلمان، وتعطل الدستور أو تصيغه وفق مصالحها، وتمنع الأفكار الحرة المخالفة، وتكمم الأفواه، وتقمع المعارضين، وتستولي على المنابر الإعلامية التي هي الوسيلة الوحيدة للشعب للتعبير عن تطلعاته وآماله، فمثل هذه الدولة لا تنال احترامها من قبل مواطنيها، وتفقد هيبتها وحتى وإن قمعت شعبها بالقوة، كما أنها لا تنعم بالاستقرار أبدا، ولا تتطور ولا تزدهر، وسرعان ما تثار فيها الفتن والانقلابات[1].

لذلك فكلما كانت الدولة شرعية في تشكيلها، يسود فيها القانون أو الشرع على الجميع، وتُحترم فيها مؤسساتها، وتعمل باستقلالية، تكون دولة جديرة بالهيبة والاحترام والطاعة منَ قبل أفرادها.

3 ـ حماية كرامة الفرد:

مما يجسد استقرار الدولة ويضمن هيبتها مدى اعترافها بكيان الفرد وكرامته، ورعاية حقوقه ومصالحه، وتحقيق مبدأ التوازن بين مصلحته الخاصة ومصلحة الجماعة، فلا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، ولا تطغى مصلحة المجتمع أو الوطن على مصالح الفرد، فالدين الإسلامي يدعو إلى الاعتراف بقدرات الفرد ومواهبه العقلية والجسدية، لأن قوة المجتمع وصلاحه بقوة أفراده وصلاحهم، فالله تعالى في كتابه العزيز بين مكانة الفرد، وأنه مخلوق مكرم، خلقه في أحسن صورة، فلا يجوز أن تهدر كرامته، أو إباحة دمه

---

[1] - أبو المعاطي أبو الفتوح، **حتمية الحل الإسلامي**، ص:118.

وعرضه[1]، قال تعالى:(**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**) [2]، (**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) [3]، وقال:(**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**).

4 . وجود قيم الأخوة والتعاون:

إن الدولة لا تكون قوة ولا مستقرة إلا إذا كانت قيم الأخوة منتشرة بين أفراد المجتمع، متبادلة فيما بينهم، كقيم التعاطف والتكافل والمحبة والإخاء والانتماء والتعاون، وهي سلوكيات اجتماعية تجعل من كل فرد عنصرا إيجابا يكون في خدمة مجتمعه ويعمل على استقراره، ويسعى لخدمته، ويتفاعل مع محيطه، كما يجعل المجتمع قويا متماسكا، مترابطا، وهي قيم كفيلة بتوحيد المجتمع، قال الرسول صلى الله عليه وسلم:(**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**)[4]، وقال:(**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)[5].

---

[1] - وهبة الزحيلي، **نظام الإسلام**، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط2، سنة 1413هـ/1993م، ص:224.

[2] - الإسراء:70..

[3] - التغابن:03.

[4] - أخرجه البخاري بهذا اللفظ عن أبي موسى الأشعري، في صحيحه في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم:459. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم:4684.

[5] - أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له عن النعمان بن بشير في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم:4685. وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم:5552.

وهذه القيم إذا ترسخت في نفوس الأفراد تجعلهم محافظين على مجتمعهم، يمارسون الرقابة فيمنعون كل انحراف، أو كل ما من شأنه أن يزعزع كيان المجتمع، قال تعالى:(**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[1]، قال تعالى: (**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[2]، وقال تعالى:(**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**)[3]، وقال تعالى:(**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**)[4]، وهو عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك بقوله :(**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**)[5].

ومما يؤكد على أهمية قيم الأخوة والتعاون في بناء الدولة واستقرارها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مما بدأ بالقيام به وهو يؤسس دولة الإسلام في المدينة المنورة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، تحقيقا لقوله تعالى (**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ**

---

[1] - التوبة: 71.

[2] - آل عمران، الآية: 104

[3] - آل عمران، الآية:110.

[4] - الحج، الآية:41

[5] - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم:70.

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[1]. وقد تجسدت هذه الأخوة عمليا في المجتمع المدني، وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الإيثار والمواساة والأخوة، ولم يعرف تاريخ البشر حادثًا جماعيًا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين الذي خلده الله تعالى في كتابه العزيز، قال الله تعالى: (**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[2].

لقد ساهم نظام المؤاخاة الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في ربط الأمة بعضها ببعض، وتخليصها من عصبيات الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام، وإسقاط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بكفاءته وتقواه وعمله، قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[3]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نَقْرَأُ فِينَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:(**أَنْتُمْ فِي خَيْرٍ تَقْرَءُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَثْقَفُونَهُ كَمَا يَثْقَفُونَ الْقَدَحَ يَتَعَجَّلُونَ أُجُورَهُمْ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهَا**)[4]، والشاهد في الحديث هو جلوس الصحابة مع بعضهم البعض دون النظر إلى التفاوت في العرق واللغة والمركز الاجتماعي.

---

[1] - آل عمران:103.

[2] - الحشر:09.

[3] - الحجرات:13.

[4] - أخرجه أحمد في مسنده، رقم:12027.

إن المجتمع اليوم بأشد الحاجة إلى مثل هذه المؤاخاة التي حدثت بين المهاجرين والأنصار؛ لأنه من غير الممكن أن تبنى الدولة على قيم الفرقة والنزاع والتشتت، ولا يمكن للمجتمع أن يقوم بدوره الرسالي في البناء والتغيير والإصلاح بنفوس متباغضة، وأبدان متنافرة.

5 ـ رسوخ القيم الاجتماعية:

أ ـ العدل:

هو من أعظم وأهم مقومات الدولة[1]؛ فالسماوات والأرض إنما قامت بالعدل، قال تعالى:(**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**) [2]، وأمر به الله تعالى في كل شيء، فقال:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) [3]، وأمر به تعالى في القول فقال:(**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**)[4]، وأمر به مع الأعداء، فقال:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) [5]، وأمر به في الحكم، قال تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**)[6].

---

[1] - وهبة الزحيلي، نظام الإسلام، ص:222.

[2] - الرحمن:7-9

[3] - النحل:90

[4] - الأنعام:152

[5] - المائدة:8

[6] - النساء58.8

فالعدل شيء تحبه النفوس، ومطلوب في كل المجتمعات، المسلمة وغير المسلمة، فكلها تريد العدل، وكلها تدَّعيه، وتحبه وتنشده. وقديما قيل بأن العدل هو أساس الملك، وهو الذي تتحقق به العمارة، ويستتب به الأمن[1]، والدولة تكون قوية بمدى تمكن العدل في مؤسساتها، وأنظمتها[2]، قال الإمام الماوردي:"**عدل شامل يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان...وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية**"[3]، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الإمام العادل من الذين يستحقون التكريم الرباني يوم القيامة، لأنه عدل في رعيته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ**)[4]، وهو من الذين تستجاب دعوتهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا**

---

[1] - ابن خلدون، **المقدمة**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط5، سنة 1402هـ/1982م، ص:287.

[2] - أبو المعاطي أبو الفتوح، **حتمية الحل الإسلامي**، ص:122.

[3] - أبو الحسن الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص:153.

[4] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، رقم:1334، وتمام الحديث:(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ).

أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)[1]. كما رفع الرسول صلى الله عليه وسلم من شأن المقسطين يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**)[2].

ب ـ المساواة:

يعتبر مبدأ المساواة شرطا أساسيا في تعزيز مبدأ المواطنة، وجعل الفرد محترما لدولته. والمساواة تعني استواء الناس أمام القانون[3]، يقول أبو بكر الصديق لما تولى الخلافة:(**الضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه**)، كما تعني المساواة منع التمييز بين الناس لأجل الجنس أو العنصر أو لون البشرة أو اللغة أو غير ذلك، وعلى الدولة أن تعمل على ترسيخ معنى المساواة بين الأفراد فلا يتميز بعضه على بعض إلا بالعلم والخبرة والمهارات والكفاءة[4].

---

[1] - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، رقم:3522. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَسَعْدَانُ الْقُمِّيُّ هُوَ سَعْدَانُ بْنُ بِشْرٍ وَقَدْ رَوَى عَنْهُ عِيسَى بْنُ يُونُسَ وَأَبُو عَاصِمٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَبُو مُجَاهِدٍ هُوَ سَعْدٌ الطَّائِيُّ وَأَبُو مُدِلَّةَ هُوَ مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَإِنَّمَا نَعْرِفُهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَيُرْوَى عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثُ أَتَمَّ مِنْ هَذَا وَأَطْوَلَ.

[2] - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق، رقم:3406.

[3] - أبو المعاطي أبو الفتوح، **حتمية الحل الإسلامي**، ص:123.

[4] - وهبة الزحيلي، **نظام الإسلام**، ص:224.

ومبدأ المساواة لا يتحقق إل في ظل حكم ديمقراطي قائم على الشورى والعدل، أما الاستبداد السياسي فهو أهم معول لهدم هذا المبدأ. وليس هناك أخطر من الاستبداد عن طريق القانون ذاته، كالدستور مثلا، حيث تقلص صلاحيات الشعب في المشاركة السياسية، أو عن طريق القوانين الأخرى المتعلقة بالحريات والحقوق العامة، التي يتم من خلالها قهر الناس، وحرمانهم من حقوقهم.

ج ـ الحرية:

الحرية ملازمة للكرامة الإنسانية، وهي أول حق طبيعي للإنسان كما قال ابن باديس رحمه الله[1]، وقد ألهم الله تعالى الإنسان طريق الخير وطريق الشر، وجعله مخيرا في ذلك ليكون مسئولا أمام الله تعالى عما جنته يده[2]، قال تعالى: **(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)**[3].

والرسول عليه الصلاة والسلام دعا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة إلى دين الله تعالى، ولم يحملهم بالقوة على دين الله - ولو أراد الله تعالى لمكّنه منهم- وما أكره أحدا على دين الله، لكنه قاتل كل من منعوا الناس -قسرا- من إتباع دعوة الحق أو السماع للهدى..فكانت رسالته إلى الملوك والحكام أنذاك:(أسلم تسلم).

---

[1] - جريدة الشهاب، العدد:24، 16 شوال 1344هـ/ 29 جويلية 1926م – آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سنة 1412هـ/1991م، ص:216.

[2] - وهبة الزحيلي، **نظام الإسلام**، ص:224 وما بعدها.

[3] - البلد : 10.

فلم يُفرض الإسلام على الناس بالقوة، ولم ينتشر بالسيف، بل بالحجة والإقناع، قال تعالى:(**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[1]، وهو خلاف ما كان عليه الأمر قبل الإسلام، قال تعالى في شأن فرعون :(**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**) [2]. وبهذا الأسلوب من الحكم سلبت الشعوب حقها وحكمت بغير ما أنزل الله تعالى، ولو عدنا إلى ما يريده أي شعب لوجدناه أنه يريد أن يعيش حرا كريما في ظل دينه. إن حرية الأمة من المقومات التي قامت عليها دولة الإسلام في السابق، يوم كانت الأمة حرة من أي متسلط يتسلط على رقاب البلاد والعباد بغير وجه حق فيحملهم على الباطل، أو الخوف من سلطان جائر مفسد، فكان أهل الحق يصدعون به ويجهرون به في وجه كل ظالم.

آليات ترسيخ هيبة الدولة في نفوس المواطنين:

1 . وجود حكم عادل قوي:

إن المجتمع المسلم في المدينة كانت له دولة يقودها رسول الله، دولة لها جيش، وراية، وقوانين، وكل مقومات الدولة الحديثة. واتسع نطاق هذه الدولة، وقام صرحها العظيم في عهد الخلفاء الراشدين. ثم في ما تلاه من عصور وعهود. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك أن بناء «دولة الإسلام» واستمرارها جزء من رسالة الإسلام. والإسلام باعتباره «خاتم» الأديان، لا يمكن أن ينشر القيم التي جاء بها من عدل وشورى وأمن وخير وغير ذلك إلا بإرساء قواعد الدولة التي تحقق أهداف هذا الدين الخاتم، فالحكم في الإسلام قائم

---

[1] - البقرة:256.

[2] - غافر : 29.

على إقامة الحق والعدل، قال تعالى: (**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**) [1]، وقال:(**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**) [2]، وقال:(**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) [3].

فالإسلام عبارة عن شرائع وأحكام، يحتاج تطبيقها إلى وجود دولة قوية[4] تكفل مهابة النظام الاجتماعي، و تضع حدا للإجرام والانحراف الفردي والجماعي، عن طريق تطبيق العقوبات والحدود المناسبة التي شرعها الدين[5]، وهي الكفيلة بوضع حد للإجرام لكل أشكال الإجرام خاصة منه المنظم، وإن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، يقول الغزالي:(**فبان أن السلطان ضروري في نظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة وهو مقصود الأنبياء قطعا، فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه فاعلم**) [6]. فالدولة تقوم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقيم الدين، وتحقق العدل بين الرعية، وتؤمن العبادة للمؤمنين، وتمنع الفتن، وتحقن الدماء، قال تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا**

---

[1] - النساء : 105.

[2] - النساء : 65.

[3] - المائدة : 50.

[4] - عبر عنه الماوردي بـ :"**سلطان قاهر**"، وجعله القاعدة الثانية من قواعد بناء الملك. انظر: أبو الحسن الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص:149.

[5] - أبو الحسن الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص:149.

[6] - أبو حامد الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص:149.

يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)[1]، قال:(الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) [2].

وكل هذه الأحكام لا يتأتى تطبيقها إلا بوجود دولة قوية مهابة الجانب، تسوس الناس بالعدل، وترعى الحقوق.

والدولة القوية التي لها جيش قوي تتمكن من حماية إقليمها، وبسط نفوذها، ودفع العدوان الخارجي، وحماية مواطنيها، وإقامة سلطانها، قال تعالى:(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)[3]؛ وقد شرع الله -عز وجل- الجهاد لهذه الأمة وجعله فريضة ماضية إلى يوم القيامة لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وما تركه قوم إلا أذلهم الله وسلط عليهم عدوهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ) [4]، وقال:(وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [5]، وقال تعالى:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ

---

[1] - النساء : 58.

[2] - الحج : 41.

[3] - الأنفال:60.

[4] - رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، رقم:2171.

[5] - البقرة:190.

وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[1].

2. إشاعة الأمن[2]:

الأمن له دور مهم في الحفاظ على الدولة، واستقرارها، وتوفير أجواء إقامة العبادات، دون خوف أو وجل.

إن المجتمعات الإنسانية تعاني اليوم من ظواهر غريبة: كظاهرة الإرهاب والعنف والإجرام، وعجزت الأنظمة في دول العالم كله عن التصدي لهذه الظواهر والقضاء عليها، وسلكت في ذلك عدة نظريات، وصدرت قوانين كثيرة،

---

[1] - البقرة:217.

[2] - يتقارب المعنى اللغوي للأمن مع معناه الاصطلاحي، في أن الأمن هو تحقيق السكينة والطمأنينة الفرد أو الجماعة وإبعاد الخوف والشر عنه أو عنهم[2]. وأصلُ الأمْنُ طُمَأْنِينةُ النَّفْسِ وزوالُ الخوف، والأمن ضد الخوف فيقال فلان آمن،وفلان خائف، من أمن أمنا وأمانا: اطمأن ولم يخف فهو آمن، يقال: أمن البلد:اطمأن فيه أهله.(مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ، المكتبة الإسلامية ، استانبول، تركيا، ص:28) ومما ورد في تعريف الأمن اصطلاحا :" هو الطمأنينة والهدوء والقدرة على مواجهة الأحداث والطوارئ دون اضطراب". وعرفه بعضهم بقوله: استقرار المواطنين، وشعورهم بالطمأنينة، والأمن على أرواحهم، وأموالهم، وممتلكاتهم.(د . محمد بن يوسف أحمد عفيفي، دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 2/21 حتى 2/24 من عام 1425هـ)

ومفهوم الأمن تطور بتطور الحياة وتوسع مجالاتها، فظهرت مفاهيم كثيرة للأمن مثل: الأمن القومي، والأمن الجماعي، والأمن الإقليمي، والأمن الدولي. وفي الحقيقة هذه المفاهيم المختلفة للأمن ليست منفصلة عن بعضها البعض، فهي كلها تشكل عناصر الأمن العام. وبالتأمل في أحكام التشريع الإسلامي واجتهادات فقهائه يدرك احتواءه لجميع المفاهيم المختلفة للأمن، ويوفره للأفراد والجماعات، ويصون به الكليات الضرورية.

واتخذت عدة أساليب، لكنها كلها باءت بالفشل، فالجرائم في تزايد، والعنف مستمر، والناس في كثير من البلدان صاروا لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، رغم ما يُسخر في سبيل ذلك من إمكانات وأموال وبشر. لكن الإسلام بتربيته وأحكامه استطاع أن يشيع الأمن بين الناس حتى صار خليفة المسلمين ينام تحت الشجر ولا يتعرض له أحد بسوء، وقد جعل الماوردي الأمن من قواعد الملك الذي تصلح به الدنيا، وهو القاعدة الرابع بعد الدين والسلطان والعدل، فقال: (**أمن عام تطمئن إليه النفوس وتتيسر فيه الهمم ويسكن فيه البريء ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة**) [1].

فمن الحكمة أن يُلتفت إلى ما تضمنته شريعة الإسلام من أحكام وحلول جذرية لهذه الظواهر التي تنشر الرعب والخوف بين الناس، وتمنع من التطور والرقي[2].

ولو بحث عن مصدر هذه الشرور والجرائم كلها التي أفقدت الأمن وزعزت الاستقرار لوجد بأنه الإنسان، مصداقا لقوله تعالى على لسان الملائكة:(**قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**)[3].

لذلك فإن علاج المشكلة الأمنية تبدأ من الإنسان ذاته، الذي هو موضوع الأمن ووسيلة حله، وذلك من خلال تربيته وتنشئته وإعداده إعدادا صالحا.

3. منع الظلم والفتن ومعاقبة المعتدين:

---

[1] - أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص:157.

[2] - أبو المعاطي أبو الفتوح، حتمية الحل الإسلامي، ص:125.

[3] - البقرة:30.

حرَّم الله تعالى الظلم وجعله بين الناس محرما، وهو مؤذن بخراب العمران وفساد المجتمعات[1]، جاء في الحديث القدسي عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:(**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**)[2]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[3]، وعن سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(**مَنْ ظَلَمَ مِنْ الْأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**)[4]، بل إن الإسلام شرع للمسلمين الجهاد لحماية بلدهم ودينهم، وتمكين الدين في الأرض، وتبليغه للناس، وتأمين حرية ممارسته، قال تعالى:(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**)[5].

كما يمنع الإسلام الفتن، ويعتبرها أخطر ما يهدد الأوطان ويفسد المجتمعات ويمنع الاستقرار فيها، قال تعالى:(**والفتنة أشد من القتل**)[6]، وقال:(**والفتنة أكبر من القتل**)[7]، لذلك وجب سد ذرائع الفتنة قبل وقوعها،

---

[1] - عقد العلامة ابن خلدون في مقدمته فصلا مستقلا وهو الفصل الثالث والأربعون بعنوان:"**في أن الظلم مؤذن بخراب العمران**". انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص:286.

[2] - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم:4674.

[3] - أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم:2267.

[4] - أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، رقم:2272.

[5] - الحج، الآية:39.

[6] - البقرة، الآية:191.

[7] - البقرة، الآية:217.

وإطفاء نارها بعد وقوعها، لأنها أخطر من القتل، وأفتك بالدين والأرواح، قال تعالى: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)**[1].

وحكام المسلمين الأوائل كانوا يتصدون لكل من يحاول زعزعة هيبة الدولة وسلطتها، ومما جاء في ذلك ما فعله أبو بكر الصديق في معاقبة من اعتدى على هيبة الدولة، فقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين أبي بكر الصديق أثناء حروب الردة واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل، فقال: إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتد عن الإسلام فاحملني وأعطني من السلاح، فلو كان عندي قوة لم أقدم عليك، فسر أبو بكر لذلك وأعطاه ثلاثين بعيرا وأعطاه سلاحا فخرج وجعل يقتل المسلم والكافر ويقطع عليهم الطريق ويأخذ سلبهم فلما بلغ أمره لأبى بكر كتب أبو بكر إلى طريفة بن حاجر: بسم الله الرحمن الرحيم: من أبي بكر إلى طريفة سلام عليك . أما بعد فإن عدو الله الفجاءة أتاني . فزعم أنه مسلم وسألني : أن أقويه على قتال من ارتد عن الإسلام . فحملته وسلحته وقد انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد ، يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم . فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به. قرأ طريفة الكتاب على قومه . فحشدوا إلى الفجاءة . وأتو به إلى أبي بكر الصديق فجمع له نيرانا ضخمة في البقيع وجمع يديه إلى قفاه وألقى في النار: **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[2].

---

[1] - البقرة، الآية:193.

[2] - المائدة:33.

هذا هو جزاء الذين يعتدون على هيبة الدولة ويزعزعون استقرارها، وقد علم الخليفة أبو بكر أنه لن يكون للدولة الإسلامية راية إلا بمعاقبة من يجترئون على هيبة الدولة وتشريد من خلفهم، قال تعالى:(**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) [1].

الإنسان مصدر هيبة الدولة:

الذي يقود الدولة هو الإنسان، والذي تحكمه الدولة وترعى مصالحه هو الإنسان، فالإنسان هو وسيلة الدولة وغايتها. من هنا كان الإنسان سواء أكان حاكما أو محكوما هو مصدر هيبة الدولة ومنبع احترامها واستقرارها.

لذلك جعل الإسلام الإنسان معصوما في جانبه المادي والمعنوي، وقد كفلت الشريعة الإسلامية لذاته الحفظ والصون والحرمة فلا يجوز المساس بها إلا بوجه حق. فوضعت من الأحكام الشرعية ما تكفل به حفظ كيان الإنسان.

لذلك كان ما أهم يحافظ عليه شرعا هو الإنسان في عناصره المعنوية، في كرامته وعرضه وحريته؛ وحفظه في عناصره المادية، في أكله وشربه وماله وبدنه.

إن الشريعة الإسلامية قدست الفرد، وكفلت له الحماية الكافية، وهو ما أكده الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله:(**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**)[2].

وإذا حوفظ على الفرد حفظا شرعيا في جانبه المادي والمعنوي صار مواطنا سويا عابدا لله تعالى، يعمر الأرض بالخير والصلاح، ويحقق أمانة التكليف، ويتحمل الأمانة كاملة، ويصبح عاملا مهما في الحفاظ على الدولة ومؤسساتها،

---

[1] - الأنفال:57.

[2] - رواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب البر والصلة والآداب، رقم:4650.

ومن ثم يقوم بدوره المنوط به في الحياة الدنيا، وفي ذلك يقول فتحي الدريني:" ولهذا كان حق الحياة هو أعظم حقوق الإنسان قيمة، وأعلاها شأنا، وأعظمها أثرا، ملحوظا فيه المعنى الاجتماعي والديني، فهو حق وواجب معا في نظر الإسلام، فإذا كان من حق الإنسان أن يحي فإن واجبه أن يحي كذلك، وهذا الواجب أداؤه حق خالص لله تعالى في حياة كل إنسان لتحقيق العبودية لله تعالى، قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**)[1]، وحق المجتمع الإنساني أيضا لاتصاله بأمانة التكليف و عمارة الدنيا على مقتضى النظر الشرعي معنى ومقصدا، وإمضاء سنة الابتلاء التي قامت عليها سنة التكليف بل الوجود الإنسان كله، (**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**)[2]".[3]

وقد حرص الإسلام على تربية النفس البشرية، بغرس قيم العدل والإحسان وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر ونصرة المظلوم ومنع الظلم، قال سبحانه وتعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)[4]، فصلاح النفس هو صلاح المجتمع، قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**) [5]. فإذا تشبعت النفس بالإيمان والأخلاق الفاضلة صارت نفسا صالحة

---

[1] - الذاريات، الآية:56.

[2] - الملك، الآية:1-2.

[3] - فتحي الدريني، **دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر**، دار قتيبة، بيروت،لبنان، ط1، سنة1408هـ/1988م ج:1، ص:73.

[4] - النحل، الآية:90.

[5] - الرعد، الآية:11.

مصلحة تسعى لفعل الخير، وتكف شرها عن الناس، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتسهم في تحقيق أمن واستقرار دولته.

فهيبة الدولة ليس بتخويف الناس وقهر الأفراد وتكميم الأفواه، وليس فقط بأن يكون لها جيش قوي، وإنما هيبة الدولة بمدة نيلها لاحترام أغلبية المواطنين، وبمدى حمايتها لحقوق الإنسان وحرياته، وكرامته. هيبة الدولة في مدى شعور الإنسان بالأمن. هيبة الدولة بمدى تمكن الفرد بأن يعلن بالحق، ويبدي رأيه.

فهيبة الدولة يصنعها كل فرد في الدولة، هيبة الدولة تكون بالإنسان وليس بمعزل عنه.

فالفرد هو وسيلة تحقيق هيبة الدولة، وهو غاية تحقيق هيبة الدولة، وهو صمام أمان ديمومة واستمرار هيبة الدولة.